صحيح البخاري (٣)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران].

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء].

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد – ﷺ– وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

مازلنا بمشيئة الله نواصل شرح كتاب العلم (صحيح البخاري).

وكنا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن بعض فوائد الحديث ورأينا كيف أن الإمام البخاري بعبقريته التي شهد بها العلماء كيف أنه استدل بهذا الحديث على عنوان هذا الباب:

(بَابُ: مَن سُئِلَ عِلمًا وَهُوَ مُشتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ، فأَتَم الحَدِيثَ ثُم أَجَابَ السائِلَ).

واستكمالًا لما سبق أن بدأناه من فوائد هذا الحديث، نصل إلى استنباط بعض الأحكام الواردة فيه فنقول:

يجب السائل لقول رسول الله- ﷺ-:

«أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ».

فعندما دخل الأعرابي على النبي- ﷺ- سأله ولكن النبي- ﷺ- لم يجبه واستمر فيما كان يتحدث فيه، ثم سأله مرة بعد مرة ولم يختلف الرد عن أول مرة، ثم قال النبي - ﷺ-: أين السائل؟

إذن لا يصح أن يُسأل المُعلم أو الشيخ فلا يُجيب ولكن عليه أن يُجيب قدر الاستطاعة(الكلام ليس على إطلاقه) وسيأتي التوضيح لاحقًا.

الإصلاح كما يكون بالكلمات فإنه يكون بالعمل:

فعلى الداعية أو الشيخ أن يعرف كيف يُربي مَنْ وُكِلَ عليهم، فلا يتوقف دوره على مجرد التنظير أو التحدُث بكلمات (رقائق) تدمع لها العيون وتتحرك لها القلوب لدقائق ثم ينتهي الأمر، لكن الشيخ الذي يملك البصيرة والذكاء والفطنة هو الذي يعرف كيف يُربي القلوب وكيف يجعل من هذا العلم واقع

عِملي يسير على الأرض، لأننا كثيرًا ما نسمع ونُنَظِر ونَحْضُر دروس الرقائق ونتأثر لدقائق ثم ينتهي التأثير، فلماذا ينتهي التأثير؟

ولماذا لا نستطيع تنفيذ ما نسمعه على أرض الواقع؟

وهذا الذي يقال يُرى في جميع طبقات طلاب العلم (من هم في بداية الطلب، ومن قطعوا باعًا على هذا الطريق) وليس المقصود به العوام؟

أولًا:

الواجب الأول الذي أرشد إليه الحديث هو: وجوب تعليم السائل تعليم (سبق أن أشرنا إلى هذا).

فقد أجاب النبي – ﷺ– على السائل وقال:

«فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

آداب طالب العلم مع المُعلِّم أو الشيخ التي اتصف بها السلف فوصلوا وافتقدها الخلف فتعسرت خطواتهم ولم يصلوا.....

فهؤلاء وصلوا ولم نصل نحن، أعمارهم كأعمارنا ولكنَّا لا نتحرك كانوا يسمعون كما نسمع ولكنَّا لا نتقدم، نفس التكاليف والشرائع تحكمهم وتحكمنا فما الفرق؟ لقد كانوا يعون السمع جيدًا فيخرج الواحد منهم ليبحث في حال نفسه وقلبه وما يجب عليه فعله.

١– على طالب العلم أن لا يسأل الشيخ إذا ما كان منشغلًا بحديثٍ آخر.

من الآداب الواجبة على المتعلم أن يتوقف عن السؤال أو الكلام إذا رأى أن المُعلم منشغلًا بشيء آخر إلى أن ينتهي مما يشغله.

(هذا الأدب مفقود بين طُلاب العلم اليوم)

وفي المقابل على الشيخ أو المُعلم أن يُربي ويُعلم ويتسع صدره.

في نفس الوقت لابد أن يكون المُعلِّم رفيق بالطالب فلا ينهره أمام المُحيطين إذا سأله وهو يجيب عن سؤال آخر.

الأعرابي سأل النبي – ﷺ– مرة بعد مرة والنبي – ﷺ– مُستمر في حديثه ولم يُجب إلا أنه لم ينهره.

نعم.... لم ينهر النبي – ﷺ– الأعرابي ولكن ذلك يرجع إلى سببين:

١– أن السائل أعرابي والأعراب لديهم شيء من الجفاء والشدة.

٢– أن السائل جاهل فاقد للآداب الواجب على طالب العلم الاتصاف بها، وهذا يعني أن هذا الموقف لو حدث مع طالب علم لكان على المعلم أن ينهره إذا كان يريد أن يربيه التربية الصحيحة.

لأن طالب العلم لابد أن يعرف الآداب الواجب عليه الالتزام بها أثناء تعامله مع المعلم فإذا لم يلتزم بها وجب على الشيخ أو المعلم أو يمنعه من الوقوع في الخطأ من باب النصيحة والتربية، كما يفعل الأب والأم مع الابن إذا ما وجدوه قد أخطأ خطأ فنصحوه مرة بعد مرة ولكنه وقع مرة أخرى، هنا عليهم أن يُعنفوه وامتناعهم عن ذلك يُسبب له الضرر

وهذا هو الحاصل في مُعظم المجالس نظرًا لمعرفة المعلمين أن غالبية طُلاب العلم هم من العوام فإنهم لا ينهرونهم إذا ما أخطئوا وللأسف فإن نتيجة عدم استخدامهم لهذه الطريقة في التعامل مع الطلاب أصبح الغالب على طلاب العلم هو إساءة الخلق بشكل غير عادي وهو وضع مُشاهد لا يخفى على أحد، و السبب هو عدم استطاعة المعلم أن يُربي كما ينبغي.

٢- إذا سأل الطالب شيخه ولم يُجبه فعليه أن ينتظر ثم يُعاود السؤال مرة أخرى في الوقت المناسب.

وفي مقابل ذلك أيضًا فعلى المُعلم أن: لا يقتصر في إجابة السائل على مجرد الرد على سؤاله بل يجب عليه أن يتوسع لأن ذلك فيه زيادة علم للسائل ولو لم يكن يحتاج إلى هذه الزيادة، وكذا زيادة علم لمن يسمع الشيخ أو المُعلم من الحاضرين

على المُعلم أيضًا أن يُقدم الأسبق فالأسبق:

أي أنه لا يقدم مَن له منزلة على مَن قام بالسؤال أولًا.

وأخرج ابن عساكر من طريق أبي سعيد عثمان بن أحمد الدينوري قال: حضرت مجلس محمد بن جرير وحضر الفضل بن جعفر بن الفرات ابن الوزير وقد سبقه رجل فقال الطبري للرجل: ألا تقرأ؟ فأشار إلى الوزير فقال له الطبري: إذا كانت النوبة لك فلا تكترث بدجلة، وَلا الفرات.

المعنى: حدث في مجلس الطبري أن حضره الفرات ابن الوزير وقد سبق رجل أخر إلى المجلس، فطلب الطبري من الرجل أن يقرأ فأشار الرجل إلى

الطبري كي يلفت انتباهه إلى حضور الوزير،فجاء الرد من الإمام الطبري ليس في مجال العلم تفضيل لصاحب مكانة أو منزلة على غيره ممن هو دونه.

وهذا دليل وإشارة وأدب أيضًا حتى لا يكون الداعي إلى الله صاحب قلب ضعيف تستميله الدنيا فينشغل بأهلها ويُعظمهم ويُعطيهم أكثر من حقهم ولا يركن إليهم فيجلس في مجالسهم(إلا إذا كان هناك ضرورة).

الداعي إلى الله عز وجل عزيز فلا يذهب إلى الناس بل أن من أراد العلم فليذهب إليه هو، وإذا اضطرته الظروف إلى الذهاب لمجلس ما فليذهب في علو وعِزة نفس وعِز الدين لأنه يملك العلم الذي أعزَّه الله به فهو العزيز ولو كان أفقر الناس، فلا المال ولا الجاه ولا السلطان بالأسباب التي تؤدي إلى عِز الشخص، فالعزيز هو مَن أعزَّه الله، وأعظم ما يُعَز به العبد هو العلم فيُرفع به درجات.

٣- اعلم أيها الطالب أن العلم لا يُنال إلا بالأدب.

ومن أجل ذلك وصل السلف للعلم أما الخلف فقد عجزوا عن ذلك إلا القليل منهم.....ولنا في تراجم العلماء الذين رفع الله قدرهم خير دليل(منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا) فإذا ما بحثنا في سيرهم فإننا سنجد أدب عالي جدًا.

ومن المستحيل أن يجتمع العلم مع سوء الأدب، من المستحيل أن يكون هناك عالم وهو(مُغتاب_سيء الظن_نمام_كذاب_يلهث وراء الدنيا_مُحب للمظاهر).

ولو أنه أُوتي من الشهادات والإجازات إلا أن ما ناله سيموت معه عند موته ولن يبقى، وفي حياته لن يكون لدعوته أثر.

إذن العلم لا ينال إلا بالأدب لأن الله عز وجل لا يحب سوء الخُلُق ويكرهه ويبغضه، والعلم نور من الله لن يقذفه في قلب سيء الخُلُق وكذا القلب الذي اختلطت فيه أمور الدنيا بأمور الآخرة.

قال الإمام النووي رحمه الله: وَيَنْبَغِي : أَنْ يَنْظُرَ مُعَلِّمَهُ بِعَيْنِ الِاحْتِرَامِ وَيَعْتَقِدَ كَمَالَ أَهْلِيَّتِهِ وَرُجْحَانَهُ عَلَى أَكْثَرِ طَبَقَتِهِ؛ فَهُوَ أَقْرَبُ إلَى انْتِفَاعِهِ بِهِ، وَرُسُوخِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ فِي ذِهْنِهِ.

نص الإمام النووي على بعض الآداب التي يجب أن يتأدب بها الطالب:

أولها: عندما يجلس الطالب أمام شيخه وحتى لا يتسلل إليه الشيطان من أي مدخل فعليه أن يعتقد كمال أهلية المعلم أو الشيخ فيُعظِّم ما عنده من علم لماذا ؟ حتى لا تضيع بركته.

وقال بعض السلف رحمهم الله: وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ إذَا ذَهَبَ إلَى مُعَلِّمِهِ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ، وَقَالَ " : اللَّهُمَّ اُسْتُرْ عَيْبَ مُعَلِّمِي عَنِّي، وَلَا تُذْهِبْ بَرَكَةَ عِلْمِهِ مِنِّي"(وذلك من توقير العلم واحترامه).

كان هذا هو حال السلف أما الآن فالطالب يذهب لينتقد كل فعل وكل قول يصدر عن المُعلم، فيتربص الطالب بالشيخ وكأنه حضر إلى المجلس ليُسجل عليه حركاته وسكناته وبدلًا من أن ينال مما عنده من الخير ذهب سوء خلقه ليمحو كل هذا الخير، فلن يصل إليه خير الشيخ وهو يغتابه أو يُسيء إليه، العلم ليس كلمات تُكتب على الأوراق أو خُطَبْ تُلقى ولكن العلم في البركة، والعلم تحرير المسائل.

وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ: أَنَّ حَقَّهُ آكَدُ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالْأَبُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ، فَعَلَى هَذَا تَجِبُ طَاعَتُهُ وَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ.

فلا ينبغي أن يكون الرد على مَنْ أسدى إلى الشخص معروفًا (أكثر من الأم والأب) وأعطاه أفضل الخيرات أن يُسيء الخُلُق معه.

فتوقير المعلم يجب أن يكون أعظم من الأم والأب لأن الأم أو الأب لم يهدوا الولد إلى الجنة، هذا الأدب إن لم يتم إعماله فإن هذا الشخص يكون مما ينطبق عليه القول(بأن مَنْ لم يشكر الناس لم يشكر الله)
_فإذا كان الطالب لا يُقدِّر قيمة الشيخ أو المعلم الذي يمنحه العلم وكذا قيمة الخير الذي يأخذه منه، فلن يعرف كيف يشكر الله سبحانه.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ)
سنن الترمذي(١٩٥٥).

ومن أوجه شُكر الطالب للمعلم أو المعلمة أن يجلس بين يديه يتلقى العلم ولديه يقين جازم أن هذا العلم صحيح وأن لدي العالم أهلية كاملة لهذا العلم.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: كُنْتُ أُصْفِحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ رحمه الله صَفْحًا رَفِيقًا هَيْبَةً لَهُ؛ لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقْعَهَا.

لقد تلقى الإمام الشافعي العلم على يد الإمام مالك، هؤلاء لم يمنح لهم الله عز وجل هذه المكانة من غير أن يُقدموا الكثير في مُقابل ذلك، لقد كان الشافعي يخشي وهو يُقلب الصفحات في مجلس مالك أن يسمعها الإمام فكان يفعل ذلك برفق هيبةً له، فأي أدبٍ هذا الذي كان يتمتع به هؤلاء، تقدير الشيخ إلى هذا الحد إلى أين سيصل بصاحب هذا الأدب.

أما اليوم فقد انحدر مستوى الأخلاق عند طُلاب العلم بصورة يندى لها الجبين...والمُتابع لما يحدث على شبكات التواصل الاجتماعي يلاحظ هذا الأمر) فبعض طلاب العلم ممن يتصيدون الأخطاء للعلماء والمشايخ يستخدمون هذه الوسيلة للخوض في سيرة هؤلاء العلماء ويصل الأمر بهم إلى السب والقذف بل واتهامهم في بعض الأحيان بالابتداع والضلال والخروج على المنهج لمجرد أن الشيخ خالف رأيهم أو طالب يتبنى رأي يتبع فيه شيخ آخر، فإذا به يُقابل هذا العالم بسيل من الاتهامات والسباب على هذه الصفحات، ولهذا فإننا نجد أن التأثير منعدم والأسماء نكرة لن يكون لها ذكر ولن يرتقي أصحابها أبدًا مهما طالت بهم الأعمار.

وَقَالَ الرَّبِيعُ:

"وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ".

وَقَالَ حَمْدَانُ بْن الْأَصْفَهَانِيُّ: وَكُنْتُ عِنْدَ شَرِيكٍ رحمه الله فَأَتَاهُ بَعْضُ أَوْلَادِ الْمَهْدِيّ، فَاسْتَنَدَ إِلَى الْحَائِطِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا ثُمَّ عَادَ فَعَادَ لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَقَالَ" أَتَسْتَخِفُّ بِأَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ؟،فَقَالَ شَرِيكٌ : " لَا، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ أَجَلُّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ أَضَعَهُ" ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ شَرِيكٌ " : هَكَذَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ".

يحكي حمدان بن الأصفهاني: أنه كان في مجلس شريك فأتاه ابن الخليفة المهدي فسأله عن حديث فلم يرد فأعاد السؤال، فقال ابن الخليفة أتستخف بابن الخليفة فرد عليه أن العلم عظيم ولا يحُط من شأنه أحد مهما كانت مكانته، ففهم السائل أنه ليس من الأدب أن يتحدث مع الشيخ بهذا الأسلوب، فنزل على ركبتيه ليأخذ العلم،فقال شريك: بهذه الطريقة يُنال العلم.

قد يقول شخص ولما يفعل أمر كهذا مع ابن الخليفة أليس هذا كبرًا أو إهانة لهم؟ ليس هذا ولا ذاك ولكنها تربية وتعليم للأدب.

هكذا تأدب السلف وهكذا كان العلماء والمعلمين والشيوخ يُربون طالب العلم وإن كان صاحب منزلة.

وعن الليث قال: كان سعيد بن المسيب يركع ركعتين، ثم يجلس، فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فلا يجترئ أحد منهم أن يسأله عن شيء إلاَّ أن يبتدئهم بحديث، أو يجيئه سائل، فيسأل فيسمعون.

أبناء الصحابة(مهاجرين_أنصار) يقصدون مجلس سعيد بن المسيب للتعلم ولكنهم لا يتجرؤون على سؤاله فكانوا ينتظرون أن يبدأ هو بالحديث أو أن يأتي شخص من غيرهم فيسأله فيرد سعيد فيسمعون ما قال فيأخذون منه العلم على استحياء.

قال إسحاق بن إبراهيم الشهيدي:كان يحيى القطَّان(إمام أئمة المُحدثين)، يُصلِّي العصر، ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقفُ بين يديه عليُّ بنُ المدينيّ، والشاذكوني، وعمرو بن عليٍّ، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم،يسألونه عن الحديث، وهم قيام على أرجلهم، إلى أن تحينَ صلاةُ المغرب،لا يقول لواحدٍ منهم:اجلس،ولا يسألون؛هيبةً له، وإعظاماً.
أحد السائلين هو (علي بن المديني): الذي قال فيه الإمام البخاري أنه ما استصغرت نفسي أمام أحدٍ قط غير علي المديني.

كلمة الإمام البخاري هذه ليس المقصود بها العُجب ولكنه يذكر فضل الله عليه وهذا جائز وليس تزكية للنفس.

كان علي بن المديني يأتي مجلس يحيى القطَّان ليسمع منه ويسأله وكان الإمام يجلس ساندًا ظهره إلى أصل منارة مسجده تارك السائل (علي بن المديني _الإمام أحمد _غيرهم) وقوفًا عنده فلا يستطيع أحدٌ منه أن يجلس إلى أن يجلس الشيخ.

٤- من صور التوقير للمعلم عدم مناداته باسمه مُجردًا أو مع لقبه.

لقد كان السلف يعتبرون أن هذا الصنيع يُعد من سوء أدب، فلا يقال يا شيخ فلان حتى لا يكون في هذا إساءة أدب.

يقول الشيخ بكر أبو زيد: ولا تناديه باسمه مجرداً، أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان! بل قل: يا شيخي! أو يا شيخنا! فلا تسمه، فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بعد من غير اضطرار.

٥- التواضع للمعلم ونبذ الكبر.

لابد أن يكون لدى طالب العلم أدب التواضع فهو خُلق جميل طيب يُحبه الله، كما أنه يبغض الفخور المتعالي على العباد.

قال تعالى: { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)}[لقمان].

والقصد من تواضع طالب العلم لشيخه هو أن لا يتكبر عليه ولا يتأمَّر عليه، ولكن عليه أن يلقي كل زمام أمره بين يدي معلمه،فيُذعن لنصيحته لأن المعلم لا يريد شيء من الطالب غير إيصال النفع له وهو الأعلم بما يُصلِح حال الطالب وما يُفسده.

٦- التواضع وإلقاء السمع عند السمع للشيخ للاستفادة حين تكون الموعظة.

وهذه أيضًا جزئية يقع فيها طالب العلم(شرود الذهن)فيكون التركيز لفترة وجيزة من الحلقة ثم يكون عدم التركيز أو الشرود باقي الوقت ومن خلال الأسئلة التي تُوجه إلى المعلم يعرف أن الطالب لم يكن منصت لما يُقال.

عدم الإنصات يُنافي حُسن الأدب

قال تعالى:{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)}[ق]

الشاهد: أن له قلب يعي.

أما المقصود (ألقى السمع): قال مجاهد: ألقى السمع يعني : لا يحدث نفسه بغيره.

وقال الضحاك: العرب تقول : ألقى فلان سمعه : إذا استمع بأذنيه وهو شاهد، يقول: غير غائب. وهكذا قال الثوري وغير واحد.

قيل أيضًا: أن يسمع الموعظة التي تلقى بكليته، إذن لابد من الإصغاء.

٧- التضرع والشكر والفرح وقبول المنَّة إلى جانب الإصغاء.

فيكون الحال عند إلقاء الموعظة هو الإصغاء لها وعدم الانشغال بغيرها حتى يحصُل النفع، إلى جانب التضرع والحمد والشُكر على هذه النعمة وتلك المنَّة التي مَنَّ الله بها عليه، فقد أسمعه الله كلام لم يكن يعلم عنه شيء وأزال عنه ظُلمات جهلٍ كان سيظل فيه إلى أن يلقاه، وشرح صدره وأنار عقله بنور العلم، ورزقه بمَنْ يُعلمه العلم الصحيح، كل هذه نِعَمْ ومِنَنْ من الله عز وجل تستوجب الفرح والشكر لله سبحانه أولًا، ثم تقدير المعلم وإعطائه حقه ثانيًا.

إذا كان المُعلِّم هو صاحب الخلق العظيم فلابد أن يكون هذا هو حال المُتَعَلِّمْ.

فحال مَنْ تعلموا الأدب على يد خير مَنْ علم الدنيا الأدب صاحب الخلق العظيم هذا هو:

عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَكِبَ يَوْمًا، فَأَخَذَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ: تَنَحَّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا وَكُبَرَائِنَا)، فَقَالَ زَيْدٌ: أَرِنِي يَدَكَ.فَأَخْرَجَ يَدَهُ، فَقَبَّلَهَا فَقَالَ: «هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

رواه ابن سعد في الطبقات (٣٦٠/٢) والذهبي في السير (٤٣٧/٢) وابن الجوزي في صفوة الصفوة (٧٠٦/١) والحافظ في الإصابة (١٤٦/٤) وجود إسنادها الحافظ في الفتح (٥٧/١١).

كان ابن عباس وهو حبر الأمة وترجمان القرآن حين يرى زيد بن ثابت مارًا عليه يقوم ويمسك بزمام الدابة التي يركبها ويقودها له ومن المعلوم أن هذا الفعل يقوم به خادم الشخص.

أي أن ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ترجمان الأمة وحبرها، والذي دعا له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فأصبح من أعظم علماء الصحابة كان هذا صنيعه عندما يرى زيد بن ثابت، وكان زيد يقول له تنحى أي ابتعد يا ابن عم رسول الله، فيرد ابن عباس (هكذا أمرنا أن نفعل مع علمائنا وكبرائنا).

فمن هو زيد بن ثابت؟

هو صحابي جليل اسلم وهو في سنٍ صغير وعندما توفى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وتولى الخلافة أبو بكر الصديق كان هذا:

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، «فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ»، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، «فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ»، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟»، قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، " فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} [التوبة: ١٢٨] حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ،فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "

أخرجه البخاري(٤٩٨٦،٧١٩١).

وقفة واستطراد:

لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا يكتفون بِطَرْق باب واحد من أبواب الدين(كأن يقول الواحد منهم أنا حافظ للقرآن عابد لله عز وجل ويكفي هذا) هؤلاء لم يكتفوا بحفظ القرآن كباب خير يفتح على البعض منهم فيُعلم الناس ويتعبد هو لله به ولكن كانوا يذهبون للجهاد في سبيل الله، إلى جانب المسارعة إلى كل باب خير يُفتح ويمكن أن يأتيهم من قِبَلِه رضوان الله وثوابه، ولذلك فإن القُرَّاء رغم انشغالهم بالقراءة إلا أن ذلك لم يمنعهم عن الجهاد في سبيل الله، فخرجوا للجهاد في حروب الردة فمات منهم الكثير وكانت القصة.

فلننتبه: عندما أمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن اعترض وقال:«كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟»

_لقد خاف زيد بن ثابت من أن يكون هذا الأمر الذي كُلِف به من قبيل البدع وهذا هو الإتباع والحرص على السنة، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يعمله، لكن هناك شيء عرفه العلماء باسم(المصالح المرسلة) ومن ضمن هذه المصالح ضرورة تدوين القرآن وجمعه، وكان زيد بن ثابت من علماء الصحابة.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا يُوسُفُ الْمَاجِشُونُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «لَوْ هَلَكَ عُثْمَانُ وَزَيْدٌ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ، لَهَلَكَ عِلْمُ الْفَرَائِضِ، لَقَدْ أَتَى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ وَمَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُمَا»

سنن الدارمي(٢٨٩٤)[تعليق المحقق] إسناده صحيح وهو موقوف على الزهري.

المعنى:ففي وقتٍ من الأوقات بدأ عدد الأشخاص الذين لديهم علم بالفرائض يقل جدًا، وكان كل من عثمان وزيد رضي الله عنهما ممن أنعم الله عليهم بهذا العلم بل كانوا فيه من العلماء مع جهادهم وحفظهم للقرآن.

كان ابن عباس على علم بفضل هؤلاء وقدرهم لذلك كان يأخذ بخطام راحلته فكان هذا من الأدب الذي اتصف ابن عباس رضي الله عنهما.

جزئية أخرى لابد من الانتباه إليها.

فليس معنى أن هناك عالمان أو شيخان أن يتعالى كل منهما على الآخر، فقد كان من الممكن أن يقول ابن عباس أنا أيضًا عالم وحافظ للقرآن فما الذي يجعلني أفعل هذا الفعل ؟كان ابن عباس يعلم أن زيد من العلماء الذين سبقوه إلى تحصيل العلم فلابد من توقيره إعمالًا لأمر رسول

الله ﷻ، وهذا إرشاد لطالب العلم فمهما أوتيت من علم فلا تتعالى على من هو في منزلتك أو حتى من هو دونك بل لابد من احترام وتوقير أهل الفضل وأهل العلم، وهذا هو خُلق الإسلام، والدين كله جميل وحُسْن الخلق من أجمل السمات التي يتَّسم بها هذا الدين ويهدُف إليه، ولو أننا التزمنا بأخلاق هذا الدين لسبقنا الشعوب الأخرى في جميع المجالات.

{وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ}

فمن أقوى الأسباب التي أدت إلى تأخير الأمة هو سوء الخُلُق وليس المقصود بحسن الخلق طالب العلم فقط ولكن المقصود هو المسلم بصورة عامة وفي جميع المجالات، لأن مَن يتأدب بحسن الخلق يتعامل بهذا الخلق العالي مع الجميع(الوالدين_الزوج_الزوجة_الأصحاب_ الزملاء_ الأبناء)فصاحب الخُلق الحسن لا يتعامل به مع شخص دون الآخر ولا يُفرّق بين هذا وذاك، ولو تعامل المسلمين بخلق الإسلام لدخل الناس في دين الله أفواجًا كما كان يحدث في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والصحابة رضي الله عنهم والتابعين فلم يكن هؤلاء على درجة عالية من العلم وكان الكثير منهم لا يحفظون القرآن ولكن الذي نشر الدين بهذه الصورة هو التوحيد والإخلاص وحُسْن الخُلُق.

توضيح:

الإنسان إذا تعبد لله عز وجل بالليل والنهار وأمضى في ذلك أوقات فما هو العائد على غيره من هذه العبادة؟ لا شيء لأن ما يفعله خاص به و بعلاقته بربه فقط.

_الذي يلزم الآخرين عند التعامل معهم أن يجدوا حُسن الخلق(نموذج مسلم يليق بدين الإسلام).

٨- من حق المعلم: أن يعرف الطالب له حقه ولا ينسى له فضله، ومن ذلك أن يعظم حرمته ويرد غيبته ويغضب له، فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس.

مثال: لو أن طالب علم جلس في مكان فسمع مَن يغتاب شيخه أو معلمه فعليه أن يرد غيبة شيخه ويغضب لسماع ذلك وينتصر له، فإذا عجز عن ذلك فعليه أن يترك المكان وينصرف.

٩- فإذا مات المعلم أو الشيخ فمن حسن الخلق أن يدعو له بعد موته ويُكثِر الدعاء له ولا ينساه.

لأن كل ما هو فيه من خير كان السبب فيه هو هذا المعلم فقد جعله الله عز وجل سببًا لهذا، فإذا كان هذا الطالب من الشاكرين لله فعليه أن يظل ذاكرًا لشيخه بالدعاء حفظًا لجميله في حياته وبعد موته وإلى أن

يموت المُتعلم نفسه، وهذا من الوفاء بالعهد، وما أحوجنا لحسن الخلق اليوم.

١٠- الصبر على جفاء المعلم من حسن الخلق.

يجب على الطالب أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه أو سوء خلق ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته، ويتأول أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار.

وعن بعض السلف: من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة.

فمن آداب الطالب أن يصبر على جفاء المعلم، فقد يكون لدى المعلم أسباب، فالمعلم أو الشيخ ليس نبي ولا ملاك ولكنه بشر تحكمه الظروف التي تُحيط به(قد يكون مريض_ يُعاني من شيء في بيته_مضغوط عليه من ظروف معينة_ مشاكل_آلام وأحزان _وهكذا) هو عالم وداعي إلى ربه ولكنه في نهاية الأمر هو بشر، الطالب يرى الصورة الظاهرة للمعلم ولا يدري أي شيء عن الضغوط والظروف التي تُحيط به، بالفعل لابد أن يكون الغالب على المعلم أو الداعي أن يكون حسن الخلق ولكن لن يصل إلى مرتبة الملائكة، فقد يذهب الطالب إلى مجلس شيخ ما ليسمع منه فيجد أسلوب الشيخ مُتَسِمْ بالجفاء نوعًا ما

_وهل كان الصحابة رضي الله عنهم على وتيرة واحدة ؟ كان حال أبي بكر من اللين والرقة ما تعجز عن وصفه الكلمات أما عمر بن الخطاب فقد كان شديد، تلك هي النفوس، قال تعالى:{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)} [الشمس] البشر مختلفون.

أم المؤمنين زينب بنت جحش زوجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ،التي زوجها ربها من فوق سبع سماوات كانت تتباهى بين نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، بأن الله سبحانه هو الذي زوجها للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ،أما أنتن فقد زوجكن أهاليكن(تلك كانت منقبة لها ومنزلة عالية) وقد كانت رضي الله عنها من المُتصدقات العابدات وذكرت أم المؤمنين عائشة في مناقب زينب الكثير ومع كل ما ذكرته عائشة من مناقب إلا أنها قالت عنها أنها كانت(حادة الطبع_شديدة).

وبالرغم من ذلك لم ينقص هذا من قدرها فنحن بشر لم يُكتب لأحد منَّا الكمال، وهذا هو الحال بالنسبة للعالم أو الشيخ فلا ينتقص قدره إذا كان يملك من المناقب الكثير إلا أن لديه جزئية يسري عليه فيها ما يسري على البشر (الغضب _التعب_الحزن_الألم_التأثر بما حوله_ وهكذا)،علينا أن نفهم ذلك حتى لا نتعامل مع علمائنا بشيء من الظُلم، فأحيانًا نرى بعض طلبة العلم يتعاملون مع الشيوخ بظلم، فلا يريد أن يرى الشيخ وهو(يضحك_ يُعدد الزوجات_ يغضب_يأكل أشياء معينة).

إذن لابد من الصبر على جفاء الشيخ، فقد يكون الشيخ عصبي نوعًا ما فينبغي على طالب العلم أن يتحمل ويُبادر هو بالاعتذار فعلى أي شيء يعتذر؟ يعتذر أدبًا منه لأنه كان سبب في إثارة الشيخ،فالصبر عليه والاعتذار له أدب.

ولننظُر: لحال السلف كيف كانوا يُجاهدون لتحصيل العلم.

أَخْبَرَنَا رِضْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدِّينَوَرِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ لَالٍ، بِهَمَذَانَ، يَقُولُ سَمِعْتُ الْخَلِيلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ صَالِحٍ، يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ الرَّازِيَّ، يَقُولُ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، قَالَ: كُنَّا نَأْتِي الْأَعْمَشَ، وَكَانَ لَهُ كَلْبٌ، يُؤْذِي أَصْحَابَ الْحَدِيثِ.

قَالَ: فَجِئْنَاهُ يَوْمًا، وَقَدْ مَاتَ، فَهَجَمْنَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَآنَا بَكَى، ثُمَّ قَالَ: «هَلَكَ مَنْ كَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَخْبَارُ الْأَعْمَشِ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ جِدًّا.

وَكَانَ مَعَ سُوءِ خُلُقِهِ، ثِقَةٌ فِي حَدِيثِهِ، عَدْلًا فِي رِوَايَتِهِ، ضَابِطًا لِمَا سَمِعَهُ، مُتْقِنًا لِمَا حِفْظَهُ ، فَرَحَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَهَافَتُوا فِي السَّمَاعِ عَلَيْهِ.

فَكَانَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ رُبَّمَا طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُحَدِّثَهُمْ، فَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ، وَيُلِحُّونَ فِي الطَّلَبِ، وَيُبْرِمُونَهُ بِالْمَسْأَلَةِ، فَيَغْضَبُ وَيَسْتَقْبِلُهُمْ بِالذَّمِّ حَتَّى إِذَا سَكَنَتْ فَوْرَتُهُ، وَذَهَبَتْ ضَجْرَتُهُ، أَعْقَبَ الْغَضَبَ صُلْحًا، وَأَبْدَلَ الذَّمَّ مَدْحًا.

(شرف أصحاب الحديث الخطيب البغدادي).

يقول جرير: كنَّا عند الأعمش وهو من أصحاب الحديث وقد كان طلاب العلم يتهافتون عليه تهافت الفَراش على النار، وكان هو شديد الامتناع في التحديث رغم علمه الواسع ورغم تقاتل أهل الحديث للنيل من هذا العلم، فكل يوم يذهب أصحاب الحديث بكراريسهم ومحابرهم بالمئات يقرعون عليه الباب ويدخلون، فلما ضاق بهم ذرعاً اشترى لهم كلباً،

فكلما سمع وقع أقدام أطلق الكلب لكي يفرق هذا الجمع، يطلق عليهم الكلب، وبعد أن يؤدي الكلب مهمته يرجع والأعمش جذلان –مسرور– فيعودون مرة أخرى فيطلق عليهم الكلب، وذات يوم جاء أصحاب الحديث بكراريسهم ومحابرهم وقرعوا الباب، فإذا الكلب غير موجود، فدخلوا على الأعمش دخول المنتصر، فوجدوه يبكي! فقالوا: ما يبكيك يا أبا محمد؟ ! فقال لهم: لقد مات الذي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، اقعدوا أحدثكم، فحدثهم يومئذٍ بحديث –بحديث واحد– وخرجوا كأظفر ما يكون، كأنه رجل فتح حصناً؛ لأنه أخذ حديثاً من الأعمش.

وقال الشافعي : " كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى الْأَعْمَشِ رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا كَانَ الْحَدِيثُ مِنْ شَأْنِهِ، وَالْآخَرُ لَمْ يَكُنِ الْحَدِيثُ مِنْ شَأْنِهِ، فَغَضِبَ الْأَعْمَشُ يَوْمًا عَلَى الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ الْحَدِيثُ فَقَالَ الْآخَرُ: لَوْ غَضِبَ عَلَيَّ كَمَا غَضِبَ عَلَيْكَ لَمْ أَعُدْ إِلَيْهِ، فَقَالَ الْأَعْمَشُ: «إِذَنْ هُوَ أَحْمَقُ مِثْلُكَ، يَتْرُكُ مَا يَنْفَعُهُ لِسُوءِ خُلُقِي».

انتبهوا: لأن مَن يدخل على الأعمش ليسوا طُلاب علم في بداية الطريق ولكنهم علماء أكابر يعرفون قدر العالم، ومع ذلك عندما دخل عليه الرجلان فقد انتهر الشيخ الرجل الأول الذي من شأنه الحديث فلما سمع الآخر الذي مازال في بداية الطريق قال لو فعل معي مثل هذا الفعل لما عدت إليه، فسمعه الأعمش فقال له هو أحمق مثلك.

وذات مرة وهو في مجلس التحديث: وكان يكره أن يجلس أحد إلى جواره- فجاء طالب علم جديد لا يعرف طريقة الأعمش ، فجلس بجواره، والطلاب لا يستطيعون أن يقولوا للرجل: ابعد، لكن لو علم الأعمش أن الرجل قعد بجانبه سيفض المجلس؛ فسكتوا، فشعر به الأعمش ؛ فظل يبصق عليه حتى انتهى المجلس، يقول: حدثني فلان -ويبصق عليه- حتى انتهى المجلس، والرجل ساكت خشية أن يقول شيئاً، فيقطع الأعمش المجلس.

ليس هناك أغلى من العلم وعلينا أن نأخذه بأي طريقة مشروعة وأن نتحمل ونصبر لله ونتواضع ونذل هذه النفس.

وعن ابن عباس: ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا.

وقال الشافعي رضي الله عنه: قيل لسفيان بن عيينة: إن قومًا يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا أو يتركوك، فقال للقائل :هم حمقى إذًا مثلك إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي.

قال بلال بن أبي بُردة: "لا يمنعكم سوء ما تعلمون منَّا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منَّا".

وقال الخطيب البغدادي: " وإن رآه في هم قد عرض له، أو أمر يحول بينه وبين لبه، ويصده عن استيفاء ذكره؛ أمسك عنه، حتى إذا زال ذلك العارض، وعاد إلى المألوف من سكون القلب ، وطيب النفس ، فحينئذ يسأله ، وقد نبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، على ذلك بقوله :

(لَا يَقْضِ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ خَصْمَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ)مسند أحمد (٢٠٥٤١)

وعن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال: " ما دققت على محدث بابه قط – وفي رواية – ما أتيت عالماً قط فاستأذنت عليه، ولكن صبرت حتى يخرج إلي، وتأولت قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾[الحجرات].

١١- ومن الآداب أيضًا : شكر المعلم على اعتنائه به.

أن يشكر الشيخ على توقيفه على ما فيه فضيلة، وعلى توبيخه على ما فيه نقيصة، أو على كسل يعتريه، أو قصور يعاينه أو غير ذلك.

_فإذا ما وجد أن المعلم يتفقد أحواله ويهتم به ويُوجهه إلى سبل الخير والرشاد، فيُراعيه ويعتني به وينصحه، هذه المراعاة نعمة تستوجب أن يشكر الطالب معلمه عليها، وإذا قدم الشيخ النصيحة فعلى الطالب العاقل أن يتقبلها بحب وليس بتربص، فالعالم لا يربطه بالطالب أية علاقة سوى تقديم النفع له وبالتالي فإنه يجب على المتعلم أن يستجيب لكل كلمة يقولها الشيخ فورًا حتى لو خرجت من الشيخ بطريقة لم تُعْجِبه فينبغي الصبر عليه، وحتى لا ينزغ الشيطان في هذه الجزئية فعليه أن ينظر لكل أمر يُصدر من المعلم أو الشيخ على أنه يريد مصلحته هو أي المتلقي (فهو يريد أن يكون أفضلًا حالًا).

كما أنه يجب عليه أن يشكر شيخه إذا ما وبخه بسبب خطأ صدر منه أو كسل أصابه أو قصور يرى (المعلم) أنه طرأ عليه، فصاحب القلب السليم الفاهم لما يَحْدُث، عليه أن يشكر معلمه لأنه تذكره رغم كثرة مَن حوله ورغم أنه لا يُساوي شيء بالنسبة لهذا العالم الجليل.....لكن القلب المريض الغير صافي لأهل العلم ينظر إلى النصيحة بمنظور آخر يسئ به ظنه في معلمه ومقدِم له الخير.

فالمعلم دائمًا ما يكون لماح ذكي ودرجة تركيزه مع طُلابه عالية لأنه سبقهم بالعلم فإذا ما قدم النصيحة فعلى الطالب أن يتلقاها وصدره منشرح لأن معلمه يهتم بشأنه.

١٢- أن لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام إلا باستئذان.

سواء كان الشيخ وحده أو كان معه غيره، فإن استأذن بحيث يعلم الشيخ ولم يأذن له انصرف ولا يكرر الاستئذان.

لا يصح أن يطرق الطالب الباب ثم يدخل مباشرةً دون أن ينتظر إذن المعلم في الدخول عليه.

صورة الاستئذان في الشرع ما هي؟

يطرق الباب ويكون الطرق بطرف الأصابع كما قال السلف حتى لا يحدُث إزعاج للمعلم، فإن لم يسمح له بالدخول فيطرق مرة أخرى فإن لم

يؤذن له فيطرق مرة ثالثة فإن لم يسمح له فعليه أن ينصرف، هذا هو الأدب في الاستئذان.

لماذا لا يجب الإلحاح على المعلم في الإذن بالدخول؟ لأن المعلم إذا كان قادر على العطاء فلن يمتنع عن هذا العطاء فما أخرجه من بيته إلا تقديم الخير للغير.

١٣- وينبغي أن يدخل على الشيخ كامل الهيئة متطهر البدن والثياب نظيفهما بعدما يحتاج إليه من أخذ ظفر وشعر وقطع رائحة كريهة لاسيما إن كان يقصد مجلس العلم فإنه مجلس ذكر واجتماع في عبادة.

فيجب على المُتعلم أن يأتي إلى المجلس وهو في أجمل هيئة، فتأدبًا مع الشيخ يجب أن لا يؤذيه برائحة كريهة (فم_عرق) أو منظر ليس بالطيب، فهذا في الأساس لا يليق بالإسلام.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:" لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى النَّاسَ يَفْتَقِرُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فِيهِمْ، قَالَ: «فَتَرَكْتُ ذَاكَ وَأَقْبَلْتُ أَسْأَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ كَانَ يَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِي بَابَهُ وَهُوَ قَائِلٌ فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ يَسْفِي

الرِّيحُ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي» فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جَاءَ بِكَ؟ هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟، فَأَقُولُ: «لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ»، قَالَ: فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ، فَعَاشَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى رَآنِي وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلِي يَسْأَلُونِي، فَيَقُولُ: «هَذَا الْفَتَى كَانَ أَعْقَلَ مِنِّي».

«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَهُوَ أَصْلٌ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ وَتَوْقِيرِ الْمُحَدِّثِ»

- المستدرك على الصحيحين للحاكم(٣٦٣).

هكذا كان حال السلف رضي الله عنهم في تلقيهم للعلم، ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان إذا سمع عن حديث يقول به شخص وليس لدى ابن عباس علم به فإنه كان يأتيه فيقف على بابه (ولنا أن نتخيل جو الصحراء)فكان لا يدُق عليه الباب ولكنه كان ينتظر حتى يخرج الرجل إليه ليسأله، وكان الرجل إذا رآه يقول ما جاء بك يا ابن عم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لو أرسلت إلي لأتيتك، فيرد ابن عباس:أنا أحق أن آتيك.

١٤- أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب.

كما يجلس الصبي بين يدي المقري أو متربعًا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع ويصغي إلى الشيخ ناظرًا إليه ويقبل بكليته عليه متعقلاً لقوله بحيث لا يُحْوِجُه إلى إعادة الكلام مرة ثانية.(تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتَكَلِّمِ في أَدَبِ العَالِمِ والمُتَعَلِّمِ).

قال الزهري : إعادة الحديث أشد من نقل الصخر.

وينبغي أن لا يقصر في الإصغاء والتفهم، أو يشغل ذهنه بفكر أو حديث، ثم يستعيد الشيخ ما قاله؛ لأن ذلك إساءة أدب، بل يكون مصغيًا لكلامه، حاضر الذهن لما يسمعه من أول مرة.

وكان بعض المشايخ لا يعيد لمثل هذا إذا استعاده، و يزيده عقوبة له. وإذا لم يسمع كلام الشيخ لبعده، أو لم يفهمه من الإصغاء إليه والإقبال عليه فله أن يسأل الشيخ إعادته وتفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف.

١٥- ولا يلتفت من غير ضرورة ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدامه بغير حاجة ولاسيما عند بحثه له أو عند كلامه معه.

فينبغي على الطالب أن لا يلتفت أثناء حديث الشيخ لماذا؟ لأن الاضطراب والالتفات وعدم التركيز يؤثر على الشيخ فيُولِد لديه حالة من الإحباط حيث يشعر أن الكلام ليس له تأثير وهذه هي أكثر جزئية يمكن أن تؤذي

الشيخ وتؤلمه، ولو رأى الشيخ أن الطالب مُصغيًا ومنتبهًا لاستمر في عطائه وبذله حتى يخرج من الدرس وقد أنتج ثماره

عدم التركيز وكثرة الالتفات يؤدي إلى خسارة الطالب لا الشيخ لأنه فقد الكثير من النفع، والشيخ إذا رأى هذا في المجلس فإنه سيُنهي المجلس ويكتفي بالقدر الذي قاله، وإذا كان مَن جاء لينتفع ليس مُهتمًا بما يُقال فهل سيهتم الشيخ بأمر هذا المُستغني.

وقد أوردنا قصة يحيي القطان مع طلاب العلم الذين كانوا ينتظرونه من العصر إلى المغرب وهم واقفين وهو يسند ظهره إلى أصل المنارة، وكان من بين الواقفين(أحمد بن حنبل_علي بن المديني_يحيي بن معين) فهل في هذا ذل لطالب العلم ؟ لا ولكنه يعلمهم الأدب كما أنه يعلمهم أن العلم عزيز والعزيز لا يُنال إلا بالصبر على الطلب.

١٦- كما ينبغي على الطالب: أن لا ينظر إلا للمعلم ولا يضطرب لضجة يسمعها ولا ينفض كميه ولا يحسر عن ذراعيه ولا يعبث بيديه أو رجليه أو غيرهما من أعضائه ولا يضع يده على لحيته أو فمه أو يعبث بها في أنفه أو يستخرج منها شيئًا ولا يفتح فاه، ولا يقرع سنه، ولا يضرب الأرض براحته أو يخط عليها بأصابعه، ولا يشبك بيديه أو يعبث بأزراره.

عن زياد بنِ عِلاقة عن أسامةَ بنِ شَريكٍ، قال: أتيتُ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – وأصحابُه كأنما على رؤوسِهُم الطيرُ، فَسَلَّمتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فجاء الأعرابُ مِن هاهنا وهاهنا، فقالوا: يا رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم –، أنتداوى؟ فقال: "تَدَاوَوْا، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يَضَعْ دَاءً إلا وضع له دَوَاءً غيرَ داءٍ واحدٍ الهرَمُ"

سنن أبي داود(٣٨٥٥).

وأصحابُه كأنما على رؤوسِهُم الطيرُ: وهذا دليل على شدة الثبات والإنصات والانتباه حتى ينتفعوا بالموعظة والعلم، ثم يقومون بعد ذلك بإبلاغه بنفس الأدب ونفس الخلق.

ولا يسند بحضرة الشيخ إلى حائط أو مخدة أو درابزين، أو يجعل يده عليها، ولا يعطي الشيخ جنبه أو ظهره، ولا يعتمد على يده إلى ورائه أو جنبه، ولا يكثر كلامه من غير حاجة، ولا يحكي ما يضحك منه أو ما فيه بذاءة أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب، ولا يضحك لغير عجب، ولا يعجب دون الشيخ، فإن غلبه تبسم تبسمًا بغير صوت البتة.

لأن الوقوع في مثل هذه الأفعال يعني : أن هناك استهانة بالعلم ومجلس العلم وعدم إدراك لقيمة هذا العلم الذي جاء من أجل تحصيله.

من الآداب أيضًا: ولا يكثر التنحنح من غير حاجة ولا يبصق ولا يتنخع ما أمكنه، ولا يلفظ النخامة من فيه بل يأخذها من فيه بمنديل أو خرقة أو طرف ثوبه ويتعاهد تغطية أقدامه وإرخاء ثيابه وسكون يديه عند بحثه أو مذاكرته، وإذا عطس خفض صوته جهده وستر وجهه بمنديل أونحوه،

وإذا تثاءب ستر فاه بعد رده جهده.

١٧- وقيل في آداب الإصغاء معاني:

منها: أنه إذا سمع الشيخ يذكر حكمًا في مسألة أو فائدة مستغربة أو يحكي حكاية أو ينشد شعرًا وهو يحفظ ذلك أصغى إليه إصغاء مستفيد له في الحال متعطش إليه فرح به كأنه لم يسمعه قط، فإن سأله الشيخ عند الشروع في ذلك عن حفظه له، فلا يُجيب بنعم، لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه، ولا يقل: لا. لما فيه من الكذب، بل يقول: أحب أن استفيده من الشيخ أو أن أسمعه منه، أو هو من جهتكم أصح.

وهذا يعني:

أن الشيخ عندما يتكلم في أي أمر(يقول موعظة_يذكر حكم _فائدة ما_يقول حديث_أي معلومة دينية)فمن الأدب أن لا يتحدث الطالب مع الشيخ وهو يذكر هذه الأشياء وإن كان يحفظ ما يقوله الشيخ عن ظهر قلب، بل على العكس ينبغي على الطالب أن يُظهر للشيخ أنه أول مرةٍ يسمعها.

فإذا ما تحدث مع الشيخ سبب له نوع من أنواع الإحباط عنده لأنه يرسل إليه رسالة مفادها أنه مُستغنٍ عن هذه المعلومة لأنه يعرفها، وهذا نوع من سوء الأدب.

ويعني أيضًا:أن الرد إذا كان بنعم ففيه إساءة أدب، وإذا كان بلا فيُعد كذبًا، ولكن ينبغي أن يقول: أحب أن أسمعه من فضيلتكم، أو بعُدَ عهدي به، أو أي صيغة لا تتضمن النفي أو الإثبات ولكن تتضمن الرغبة وحب السماع لما يقوله الشيخ.

قال عطاء: إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئًا.

وعنه قال: إن الشاب ليتحدث بحديث فأسمع له كأني لم أسمعه ولقد سمعته قبل أن يولد.

يقول السلف في حسن الإصغاء: حتى يستفيد المتعلم من العلم لابد من أمور هي : الصمت، استماعه، العمل به، نشره وتعليمه.

يقول الضَّحاك بن مزاحم: أول بابٍ في العلم(أول شيء لابد أن يعرفه المتعلم وهو في بداية الطلب).

-الصمت: السكوت

-استماعه: الاستماع الجيد، والتركيز العالي

-العمل به: وحتى يثبت العلم الذي تلقاه فعليه أن يعمل به.

مثال: كنَّا نتحدث اليوم عن الآداب وحسن الخلق سواء أكان مع العلماء أو مع غيرهم، فلنبدأ اليوم في جهاد النفس على حسن الخلق وهو أحوج ما يحتاج إليه المسلمين، وعلينا أن نعلم أن حُسن الخلق باب عظيم للدعوة لأنه بالخلق الحسن يُدْخِل الناس في الدين وليس بالثياب ولا باللحى.

-نشره وتعليمه: هذه الآداب (على سبيل المثال) التي استمعنا إليها اليوم علينا أن ننشرها قدر الاستطاعة حتى لو كان في إطار المجتمع المحيط.

. عن معاذ بن سعيد، قال: كنا عند عطاء بن أبي رباح ،فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله ما هذه الأخلاق؟ ما هذه الأحلام؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه، فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئاً.

فأنكر عطاء على الرجل اعتراضه على حديث غيره وقال أنه كان يسمع الحديث من الرجل ويبين له أنه لا يعلمه فهذه أخلاق الأكابر حيث التواضع وهضم النفس، وليس كما يحدث على الفضائيات الآن من مشاحنات وسوء خلق، فلم يكن عند السلف الأنا ولا الانتصار للنفس ولا حب الظهور أولا حب الإستحوذ، فأمراض القلوب لم تكن موجودة عند هؤلاء القوم، بل على العكس كانوا يهضمون أنفسهم غاية الهضم، وكان لا يعنيهم ما يُقال عنهم، فكلام الناس لا يرفع من شأن أحد كما أنه لا يضع من شأن آخر، الذي يرفع ويخفض هو الله، فعلاما العجلة والاستعلاء

وبيان العلم.

. قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ: إِذَا رَأَيْتَ مُحَدِّثًا يُحَدِّثُ حَدِيثًا قَدْ سَمِعْتَهُ، أَوْ يُخْبِرُ خَبَرًا قَدْ عَلِمْتَهُ، فَلا تُشَارِكُهُ فِيهِ، حِرْصًا عَلَى أَنْ لا تُعْلِمَ مَنْ حَضَرَكَ أَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ خِفَّةٌ وَسُوءُ أَدَبٍ.

انظروا إلى حال السلف وكيف كانت أخلاقهم:

يقول خالد: أنك إذا سمعت حديثاً من الشيخ وأنت تعلمه فلا تحاول أن تُعلِمْ الحضور أنك تعلمه لماذا؟ لأن هذا خفة أي(قلة ديانة)، فمن يفعل ذلك شخص دينه ضعيف ولم يرسخ فيه كما أن علمه ضعيف أيضًا،

فمن الدين والعلم أنه إذا تكلم الشيخ فلا تردد معه كلامه تأدباً مع الشيخ.

كانت هذه جملة من الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها طالب العلم ولم يذكرها الإمام لأنه ليس بصدد أن يذكر الآداب ولكنه بصدد أن يجمع الأحاديث التي جاء فيها فضل العلم وأهمية العلم.

الباب الثالث بعنوان:((من رفع صوته بالعلم))

وكما ذكرنا سابقاً أن من عبقرية الإمام البخاري أنه كان ينظر في

الأحاديث ويُمعن النظر كي يربط بين أحاديث الباب السابق وأحاديث الباب اللاحق حتى يكون هناك انسجام وترابط بين الأحاديث وليس ترتيبًا عشوائيًا.

فقد كان من الممكن أن يجمع الأحاديث ويبذل الجهد في تحقيقها فقط لكنه كان حريص على أن يعمل نوع من الانسجام والترابط بينها.

وكان الباب السابق بعنوان سؤال السائل عن العلم وهذا الباب رفع الصوت بالعلم، فوجه الربط بينهما أنه عندما يسأل السائل قد يحتاج الشيخ إلى رفع الصوت، فذكر باب (من رفع صوته بالعلم) فالأصل انخفاض الصوت بالعلم أما عند احتياج المعلم إلى رفع الصوت فلا بأس أن يرفع صوته.

والحديث أيضًا يتكلم عن مسألة فقهية ولكن الإمام ربطه بمسألة جواز رفع الصوت بالعلم عند الحاجة.

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ عَارِمُ بْنُ الفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا – وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاَةُ – وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

«وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا.

أخرجه البخاري(١٦٣،٩٦،٦٠) واللفظ له، وأخرجه مسلم (٢٤١)

- تخلف: تأخر خلفنا،
- أرهقتنا: اعجلتنا لضيق الوقت.
- نمسح: نغسل غسلا خفيفا كأنه مسح.
- ويل: عذاب وهلاك.

. ولذلك بوَّب الباب وجعله بعنوان (من رفع صوته بالعلم) لأن النبي صلى الله عليه وسلم نادى من بعيد حين رأى الخطأ في صفة وضوء بعض الصحابة، وأراد أن يعلمهم كيف يكون الوضوء الصحيح، وهذا مبحث إن شاء الله نبدأ به الدرس القادم لنبين فقه هذا الحديث وما فيه من أمور نحتاج إليها.

ملحوظة: الفضل بن جعفر بن الفرات بن الوزير المذكور في أول الحلقة (ص:٤) يختلف عن (محمد بن إبراهيم بن علي بن الوزير اليماني)لأن ابن الوزير اليماني ولد في آخر القرن الثامن وهذا الرجل كان فقيه إمام وعالم كانت لديه قوة في محاربة الباطل والبدع والذب عن سنة رسول الله ﷺ حتى كل من كان يجلس معه يأخذ بلُبِّه ويشعر بقصر باعاً في العلم إذا ما سمِع ابن الوزير ولمعرفة قوة علمه ودينه نرجع لكتابه(القواصم و العواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) أربع مجلدات يبين ويسرد فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ويدافع عن سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأخذ العلماء بعض المآخذ على الكتاب بأن فيه بعض التأويلات فنسبوه للأشعرية والواقع والحقيقة غير هذا تماما فهو عقيدته سلفية كما ينبغي وبيَّن في أصل الكتاب أنه ذكر هذه الأمور تقية فكان في زمانه أهل البدع

أقوياء جداً ومنتشرين، فكان يُسأل في بعض الأمور فيرد ردود تقية وذكر ذلك في أصل كتابه ليبين أن عقيدته سلفية فلا ينبغي لأحد أن يتهم ابن الوزير بأنه أشعري فهذا اتهام باطل لأنه إمام من أئمة السلف الذي طالما ذب عن سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك